

[illegible]

Abstract

Orientalism is a phenomenon that characterizes the relationship between East and West, a cultural and cognitive phenomenon fueled by the emotions of discovering that mysterious unknown deep in the European psyche. There are those who associate them with Muslims' science, some of whom make Arabic their first demand. Some of them are stuck working in the mindsets of the people of the East, the latter being the kingdom of tales, This East's reality has always been encased in shear forms as fact and imagination. and a meaningful fairy tale, so the orientalist studies drew the attention of researchers and attracted the attention of scholars and critics and raised many intellectual issues closely linked to the spirit of the East, This, in terms of interest and fields approached by orientalists, is a lesson, analysis and depth of research.

Keywords: Language/Science/Critics/East/Studies.

*المؤلف المرسل: د. عمريامون

1. المقدمة:

تباينت آراء المستشرقين بخصوص الأسبقية الحضارية بين المدينتين المصرية والرافدية، فالكثير من المستشرقين القدماء يعتبرون الحضارة المصرية سباقة لبناء العناصر الحضارية الأولية، فبشكل عام هناك توافق بين المؤرخين الأثريين المحليين والأجانب على أن الحضارة المصرية القديمة كانت من بين أقدم الحضارات في العالم وأن لها اسهامات مهمة في العديد من المجالات كالفن، العمارة، العلوم والآداب، فهذه المدنية في نظرهؤلاء كانت أكثر استدامة وثباتا على مر العصور مقارنة بالحضارة الرافدية، ويعزون ذلك إلى الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي شهدته مصر القديمة مع استمرارية العقائد والتقاليد والفنون بدون انقطاع على مر الفترات التاريخية.

المستشرقون وموقفهم تجاه قضية الأسبقية الحضارية بين الحضارة الرافدية

والمصرية

وفي الجهة المقابلة نجد أن العديد من المستشرقين والذين يرون بأحقية الحضارة الرافدية في تصدر لائحة الحضارات العالمية القديمة، حيث يرجحون الفكرة القائلة بأفضلية الحضارة السومرية عن نظيرتها المصرية في بعض المجالات، فقد اعتبروا أن الحضارة الرافدية هي أول حضارة ازدهرت على ضفاف نهري دجلة والفرات، والتي تشتهر بالعديد من الإنجازات البارزة كاختراع الكتابة المسمارية وتطوير التشريعات والقوانين.

ومع كل هذه المعطيات، فعلينا نحن كمؤرخين أن نلاحظ أن هذه الآراء والتقييمات لا يمكن تعميمها الأخذ بها على أساس مسلمات ثابتة، فمعظم وجهات النظر الخاصة بالمستشرقين تعتمد على الأبحاث والدراسات التي تم إجراؤها والتي قد تختلف أساساً من مستشرق لآخر (هذا ناتج عن اختلاف تخصصات المستشرقين والمنطق التي أجروا عليها الدراسات وكذا الأسس والمعايير التي استعملوها لبلوغ نتائجهم الفاصلة) ، لذا ينبغي الأخذ عين الاعتبار مراجعة أعمال المستشرقين الفردية واستقراء آرائهم وأدلتهم كل منفصل تمهيدا لفهم منظورهم لمفهوم "الأسبقية الحضارية" بشكل أكثر دقة واستيعاباً.

استناداً إلى أهمية هذه الدراسة البحثية في تسليط الضوء على فكرة الأسبقية الحضارية للمدنيين الرافدية ونظيرتها المصرية، فقد قمنا بضبط أبعاد هذا الموضوع على النحو الآتي:

- إشكالية الدراسة: بناء على الأهمية التاريخية لهذا الموضوع ارتأينا طرح الشكال الرئيسي التالي:

- فيما تتمثل المؤشرات والمعايير التي اعتمدها الدارسون والمتخصصون في تاريخ الشرق الأدنى القديم لتحديد مبدأ الأفضلية والأسبقية بين الحضارتين الرافدية والمصرية؟

بامون عمر، قلمام لويضة

كما أرفقنا البحث ببعض التساؤلات الفرعية التي تدرج تحت عنوان دراستنا ولعل أهمها:

-ماهي أهم آراء وتوجهات المستشرقين بخصوص مسألة السبق الحضاري؟
-فيما تتمثل مظاهر الأولوية الحضارية بين قدماء الرافديين ونظرائهم المصريين؟
وهل تمكن الباحثون فعلا من تحديد النقاط الصحيحة لبناء نظرياتهم وطروحاتهم حول الموضوع للفصل في محتواه؟

-منهجية الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة بشكل عام على المنهج الوصفي وكذا التحليلي في بعض فترات البحث في سبيل تحليل بعض الأفكار المتعلقة بالموضوع.
-الاعتماد على فكرة الانتقال من العام إلى الخاص لتبسيط المعطيات وبلوغ نتائج واضحة الغاية والهدف.

-أهداف الدراسة:

سعت هذه الدراسة لتحقيق بعض الأهداف المهمة، ولعل أهمها:
-التعريف بالنظريات والآراء حول الأسقية الحضارية للحضارتين الرافدية المصرية.
-تسليط الضوء على الاتجاهات الفكرية المختلفة وأسسها العلمية المعتمدة لإطلاق الأحكام النوعية.

2. الاتجاه المناصر لأسبقية الحضارة المصرية:

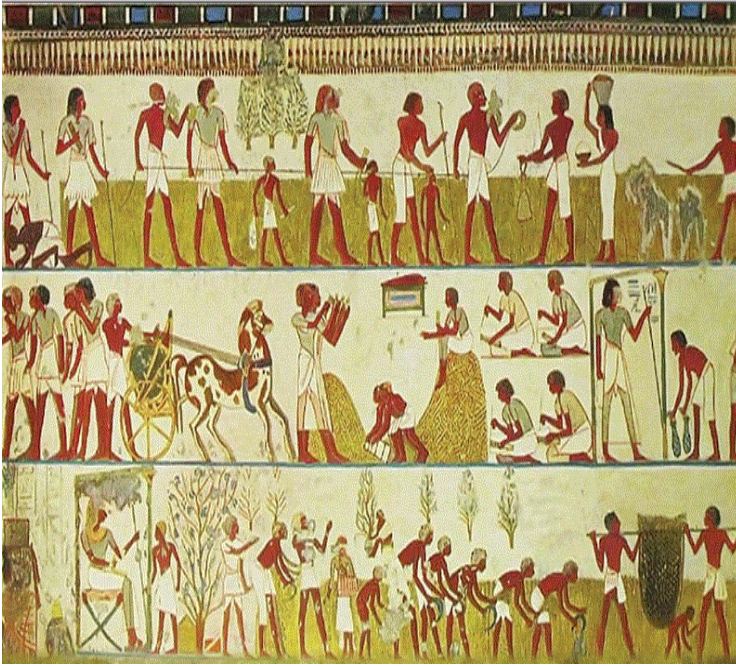
في سياق الحديث عن أسبقية مصر في تفعيل الأسس الحضارية، نذكر قول المستشرق وصاحب تسمية "الهلال الخصيب" المؤرخ "جيمس هنري برستيد" الذي يخص ظهور بوادر الاستقرار البشري بهذه الحضارة الناشئة حيث يقول: "...وإذ نعود الآن لنستأنف الحديث عن التقدم الإنساني خلال العصور المبكرة في الشرق الأدنى فإننا نبدأ بمصر، فنحن نذكر كيف تتبعنا مسار صيادي الشمال الأفريقي في هبوطهم إلى وادي النيل عندما أخذت الهضبة في الجفاف، ونذكر كذلك كيف

المستشرقون وموقفهم تجاه قضية الأسبقية الحضارية بين الحضارة الرافدية

والمصرية

بدأ هؤلاء في الانتقال إلى حياة مستقرة مع بدئهم للاستئناس وزراعة الأرض، ولما كان الماء أساسيا لنمو الحبوب وباعتبار مصر منطقة يندر فيها تساقط الأمطار، فإن المصريين الأوائل كانوا مضطرين لابتكار جهاز لرفع المياه من النهر أو من القنوات حتى تظل المزارع مليئة بالمياه، ولا يزال المصريون في الوقت الحاضر يستعملون هذه الآلة وهي نفسها التي ورثها أجدادنا نحن الأمريكيون، وكانت تستعمل في غالب الأوقات في نيو انجلاند لاستخراج مياه الآبار" (جيمس هنري برستيد، 2011م، ص 65).

الشكل 01: -رسومات على جدران المعابد تبرز أسبقية المصريين القدامى في ابتكار أسس المنظومة الزراعية-



المصدر: (هشام الجبالي، 2010م، ص 10)

ومن جهة أخرى نجد أن المؤرخ والمستشرق "غاستون ماسبيرو" يؤكد على أسبقية الحضارة المصرية التي جادت بملاحم حول "خلق العالم" وكذا ترويض

بامون عمر، قلمام لويزة

الطبيعة الأم لبناء الأسس الحضارية، حيث يأتي في مقدمة كلامه: "...وقد تغلب المصريون على طبيعة الأرض بالصبر والمواظبة، فاتخذوا للنيل جسورا تحفظ مياهه وجففوا الأرض وشقوا فيها الترع، وهي التي ما زال حفظ ثروة البلاد متوقفا عليها إلى يومنا هذا، وأسسوا خلال أزمנתهم القديمة معظم حواضرهم كتانيس، بسايس، هليوبوليس، هيراكليوبوليس وندرة الخ، وكان لكل مدينة إلهها الخاص، وكان القائم على رأس هذه الولايات زعماء يتولون الحكم فيها بالوراثة، وقد حازوا في أيديهم جميع فروع السلطات الملكية والعسكرية والدينية، ثم اتحد بعضها ببعض بمرور الأزمنة، وتحولت إلى مملكتين متميزتين، إحداهما مملكة الوجه البحري في الدلتا والأخرى مملكة الوجه القبلي في الوادي، أي في حدود الفيوم إلى جبل السلسلة ثم إلى الشلال الأول"

(غاستون ماسبيرو، 2014م، ص ص 20، 21).

أما في كتاب "فجر الضمير" ذو الشهرة الواسعة، فنجد أن المستشرق "برستيد" يؤكد مرة أخرى على عمق الحضارة المصرية وقدم تواجدها ونشأتها المادية والروحية التي تنفرد بها عن سائر الحضارات التي عاصرتها أو تلتها، ومما انتقاه ليبين به هذا الموقف الخاص به يظهر لنا في سياق حديثه: "...وأهم ما تكشفه لنا هذه اللوحات التطورات الظاهرية، وذلك لأن الحياة المصرية القديمة كانت تشغلها في ذلك الوقت تلك الانتصارات المادية التي لم يسبق لها مثيل، إذ لم يوجد شعب آخر في بقاع العالم القديم مال من السيطرة والحظوة على عالم المادة بصفة واضحة للعيان تنطق بها آثاره الباقية لحد الآن مثل ما ناله المصريون القدامى في وادي النيل، فقد شيد هؤلاء بنشاطهم المتواصل صرحا من المدنية المادية والتي عجز الزمن عن محوه محوا تاما، وأما الأخلاق فهي اتجاه جوهر الحياة المتنوع الذي لا يدرك باللمس واللون، من العادات والتقاليد والصفات الشخصية المشكلة بتأثير القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعمل

المستشرقون وموقفهم تجاه قضية الأسبقية الحضارية بين الحضارة الراقية

والمصرية

بصفة مستمرة في مناهج الحياة اليومية". (جيمس هنري برستيد، 2000م، ص 129، 130).

3. الاتجاه المناصر لأسبقية الحضارة الراقية:

يرى المؤرخ "أرنولد تويني" أن أصول الحضارة تنسب للراقيين حيث يقول: "والمدينة السومرية هي أقدم المدن الإقليمية التي نملك وثائق تتعلق بها، وهي أيضا الوحيدة التي من المؤكد أنها تطورت عن مجتمع أو مجتمعات ما قبل المدينة والتي لم تنقل عن أي مجتمع شبيه بها كان قائما قبل ذلك، بل ولم تكن نتيجة إحياء من أي مجتمع من هذا النوع، وقد أظهر التنقيب الأثري الحديث التطور التدريجي فيما يتعلق بناحيتين متميزتين من المدينة السومرية وهما الكتابة والمعمار الديني" (أرنولد تويني، 1988م، ص 77)، فقد كانت طبيعة أرض العراق بجبالها وهضابها وسهولها ونهرها العظيمين وبينهما الوادي الخصب والدلتا موطن حضارة العراق الأولى، وهي كلها الخلفية الجغرافية المثلثية التي هيأت للإنسان العراق الأول المواطن الطبيعية والظروف البيئية المناسبة التي مكنته من التقدم السريع في مضمار التمدن بعد استقراره وإقامته في أولى قراه الزراعية، وقد كان ذلك الإنسان واحدا في نوعه ومهاراته في الصناعات الحجرية خلال عصوره الأولى (بهنام أبو صوف، 2009م، ص 07).

أما المؤرخ "خزعل الماجدي" فيبين الأسبقية النوعية للحضارة السومرية بناء على الدراسات الخاصة بأوائل المستشرقين الآثاريين حيث يقول: "أرى أن التاريخ البشري على مستوى الإنجاز الحضاري والمادي والثقافي قد أمدنا بثلاث معجزات نوعية كبرى، كانت كل معجزة منها الأساس الراسخ لحقبة بشرية طويلة ظهرت فيها حضارات عديدة، المعجزة الأولى هي المعجزة السومرية وأستطيع أن أسميها معجزة التأسيس أو معجزة الأصول، فقد وضعت الحضارة السومرية

بامون عمر، قلمام لويزة

الأسس الأولى الراسخة والنوعية والمتينة المادية والثقافية والروحية التي سارت عليها البشرية بعدها، مثل الكتابة والتشريع والدين والعلوم والآداب والصناعات والحرف والفنون والقيم الأخلاقية والطب والعمارة والري والفكر وغيرها، وقد أطلق السومريون أنفسهم على نوااميس الحضارة هذه مصطلح ال "مي" التي أحصى منها الباحثون أكثر من مائة ناموس حضاري (خزعل الماجدي، 1998م، ص 11).

في هذا الموضوع بالذات يعود المؤرخ "أرنولد توينبي" لينسب أصول الحضارة إلى العنصر السومري حيث يقول: "...والمدينة السومرية هي أقدم المدنات الإقليمية التي نملك وثائق تتعلق بها، وهي أيضا الوحيدة التي من المؤكد أنها تطورت عن مجتمع أو مجتمعات ما قبل المدينة والتي لم تنقل عن أي مجتمع شبيه بها كان قائما قبل ذلك، بل ولم تكن نتيجة ايحاء من أي مجتمع من هذا النوع، وقد أظهر التنقيب الأثري الحديث التطور التدريجي فيما يتعلق بناحيتين متميزتين من المدينة السومرية وهما الكتابة والمعمار الديني" (أرنولد توينبي، 1988م، ص 77).

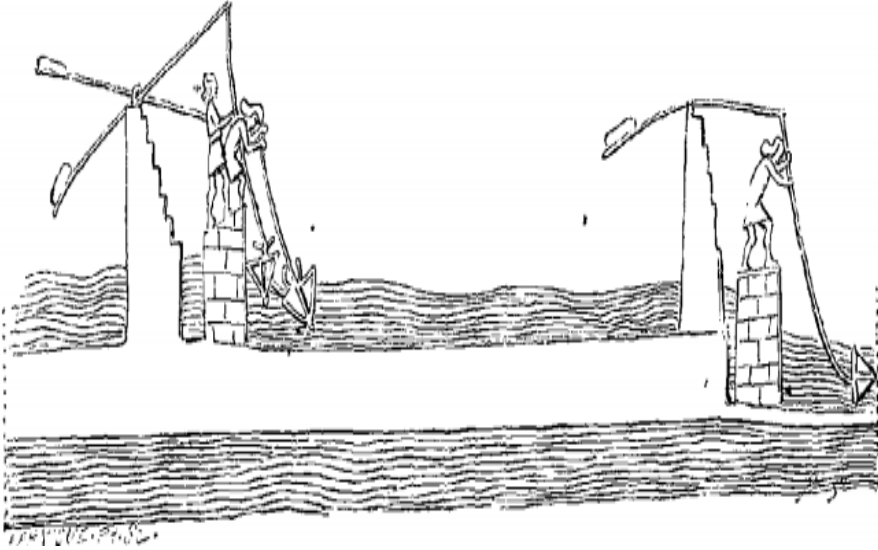
ومن جهته وافق الباحث المختص في اللغات السامية "سباتينو موسكاتي" على هذا الطرح الذي يعزز فكرة أسبقية الحضارة الرافدية حيث صرح قائلا: "كان اكتشاف الحضارة السومرية عن طريق الصدفة عندما بدأ المنقبون في الكشف عن حضارة وادي الرافدين، حيث كان الهدف الرئيسي البحث عن بقايا البابليين والآشوريين التي ذكرها الكتاب المقدس والمؤرخين الكلاسيكيين، وقد وجدت العديد من الآثار والوثائق التي تدل على وجود شعب غير معروف سبق وجوده هذين الشعبين، والذي منح المنطقة بعدا إنسانيا وحضاريا جديدا وهو الشعب السومري" (Sabatino Moscati, 1963, p 63).

المستشرقون وموقفهم تجاه قضية الأسبقية الحضارية بين الحضارة الرافدية

والمصرية

أما الأب "سهيل قاشا" الذي استقى معلوماته من الدراسات المكثفة للمستشرقين فيرى بأنه لم يكن لأحد أن يعرف شيئاً عن السومريين قبل مائتي عام، وقلة قليلة كانت تملك معلومات بسيطة عنهم قبل مئة عام، أما اليوم وبعد الاطلاع على المكتشفات الأثرية الهائلة في منطقة الشرق العربي (العراق) تبين أن السومريون هم أول شعب تاريخي قدم للإنسانية أكبر الإنجازات الحضارية، فهو مبدع أولى الكتابات قبل خمسة آلاف عام التي ساعدت الإنسان على الخروج من عتمة عصور ما قبل التاريخ والانتقال به إلى فجر التاريخ، والسومريون هم الذين ساهموا في تأسيس المدن الأولى وأول من صنع العجلة التي تعتبر مع اكتشاف النار من أهم المنجزات التقنية في عالم التطور الحضاري الصناعي (سهيل قاشا، 2001م، ص 07).

الشكل 02: -أسبقية الرافديين في استخدام تقنية الري الاصطناعي للمزروعات في بلاد الرافدين القديمة-



المصدر: (François Lenormant, 1887, p 75.)

بامون عمر، قلمام لويزة

ومن الأدب السومري القديم ما يوحى بأسبوعية الحضارة الرافدية عن الحضارة المصرية وعن بقية الحضارات العالمية، حيث يأتي في محتوى قصيدة سومرية وهي "ملحمة الخليقة" دلالات توحى بتزامن عملية الخلق مع ظهور المدنية السومرية، حيث تقول:

وضع "مردوك" قسبة على وجه المياه، كون التراب وصبه إلى جانب القسبة.
حتى يجعل الآلهة يسكنون في المسكن الذي تشتهيه رغبات قلوبهم.
كون البشر ومعه الإلهة "أرورو" خلقت بذرة البشر.
كون وحوش الحقل والأشياء الحية في الحقل، خلق دجلة والفرات وأقامهما في مكانهما.

أعلن عن اسميهما بطريقة إلهية، خلق العشب وفورة الهور والقسبة والغابة.
الأرض، والأهوار والمستنقعات، البقرة الوحشية وصغيرها وخروف الحظيرة.
البساتين والغابات، المعزى ومعزى الجبل، بنى المولى "مردوك" سدا إلى جانب البحر.

كون القصب وخلق الأشجار.

وضع الأجر وأقام المباني، بنى البيوت وأسس المدن، بنى "أوروك".

كما يعتبر المستشرق وعالم الآثار المختص في الدراسات المتعلقة بالحضارة الرافدية "جورج سميث" من خلال مساهمته في ميلاد علم الآشوريات أن الحضارة السومرية تأتي في مقدمة الحضارات القديمة، وقد بنى استنتاجه هذا على أساس الحفريات والتنقيبات التي أقامها في مدينة "أور" عند دراسته لبقايا الطوفان، ليبين من خلاله نزول الملكية الأولى قبل الطوفان والثانية بعده، وهذه الفكرة قد نقلها عنه الباحث "هارون يحي" حيث يقول: "ويبقى النص المعثور عليه في "نفر" الأكثر مصداقية لما فيه من العبارات المهمة والمتضمنة لعقائد السومريين عن أصل الكون والآلهة وخلق الإنسان وكذا أصل "الملكية" وتعداد خمسة مدن

والمصرية

في عصر ما قبل الطوفان، والذي عم هذا الأخير العديد من المدن أهمها "كيش" وحسب المصادر كانت هذه المدينة المنطقة الأولى لاستقرار أول الأسر الحاكمة وكذلك بالنسبة لمدينة "شروباك" والتي أظهرت الحفريات أن طوفانا كبيرا قد وقع فيها ما بين (3000- 2900 ق.م)، وآخر المدن التي مسها الطوفان هي مدينة "أوروك" التي ظهرت فيها طبقة طينية والتي هي من مخلفات الطوفان وفي نفس الفترة مع مدينة "شروباك". (هارون يحي، 2012م، ص31). (نلاحظ من خلال النص أسبقية الرافديين القدامى في صياغة الأفكار الفلسفية الأولى حول أصل الملكية والسلطة وكذا إعادة تعمير الأرض بعد الطوفان وكذلك وجود مدن وحوضر حتى قبل الحادثة نفسها، وهذا لأكبر دليل على الأولوية الحضارية للرافديين بشكل عام والسومريين بشكل خاص).

في حين نجد أن المستشرق الفرنسي "غوستاف لوبون" يؤكد عظمة الحضارة الرافدية بما في ذلك الحضارة البابلية ومعها الحضارة المصرية التي تليها حسب منظوره وذلك أن العراقيين القدامى قد بذلوا مجهودا أكبر من نظرائهم المصريين للسيطرة على النهرين التوأمين دجلة والفرات، ويقول في مختصر حديثه "...ولكن إذا سهل علينا أن ندرك إمكانية قيام مدن عظيمة أهلة بالسكان في أعالي أرض الجزيرة الفراتية عند منبع النهرين الخصيب البعيد عن الجبال التي قامت في نصف دائرة كسد منيع ضد الغزاة، فإنه ليس من السهل علينا أن ندرك كيف أمكن لحضارة راقية أن تنشأ في المنطقة القاحلة الممتدة من هضاب إيران إلى شواطئ المتوسطي حيث حدود المملكة الكلدانية، ثم يصعب علينا أن نعرف سبب ذلك وقد اكتظت هذه المنطقة بالبلدان العامرة وكنوز العالم القديم حتى تجاوزت بابل نينوى في المجد والغنى، وكادت تصبح سيدة المدن لولا ضررتها

بامون عمر، قلمام لويضة

العنيدة طيبة المصرية، تلك المملكة الثانية التي كان لها عرش الماضي". (غوستاف لوبون، 2019م، ص 13).

4. مقارنة نوعية بين الحضارتين الرافدية والمصرية:

1.4. أوجه الاختلاف بين المدنية الرافدية والمصرية:

في اطار المقارنة بين الحضارتين يرى المؤرخ والباحث اللاهوتي "أنستاس ماري الكرمل" أن هناك اختلاف واضح بين الحضارة المصرية ونظيرتها الرافدية حيث يقول في مضمون شرحه لأصول المجتمع الرافدي ما يلي: "... في وادي النيل كان لجميع الأهالي لسان واحد، أما هنا في وادي الفراتين في الأرض التي تسميها التوراة أرض شنعار فكان فيها أقوام من سلالتين مختلفتين، ولهم لغتان كل منهما تختلف عن صاحبها، ويسمى القطر الشمالي أكد وسكانه ساميو الأصل أولاد عم العرب والعبريين والفينيقيين والسرّيان، طويلو اللحى سودها وتموجوها، وقد احتل القطر أجدادهم في زمن واغل في القدم، وأما القطر الجنوبي المجاور لمصب الرافدين فاسمه شمرو وسكانه أقوام لا رابط يربطهم بقوم من أقوام الأرض الذين نعرفهم، مخلوقة لحاهم وشواربهم وشعور رؤوسهم، وأنوفهم بارزة دقيقة الأطراف وشفاههم رقيقة حسنة، فأى الفريقين كان الأول إلى الديار الفراتية؟ فلا يمكننا الجواب عنه الآن، وهذان الفريقان وإن كان أحدهما يختلف كل الاختلاف عن صاحبه، إلا أنه من البديهي الذي لا ينكر أن كلا منهما استعار من الآخر معارف شتى (أنستاس ماري الكرمل، 2020م، ص 16).

وفي الجانب الثقافي نلاحظ اختلافا بين مصر والعراق القديم وبالأخص في مسألة ابتكار الكتابة رغم توجه بعض العلماء إلى القول بأن فضل اختراع الكتابة الهيروغليفية يرجع إلى تأثير سومري وذلك أن مصر قد استوحت فكرة الكتابة عن العراق القديم، إلا أنه يمكن تتبع الكتابة الهيروغليفية المبكرة منذ عصر ما قبل الأسرات الأول في نقادة وذلك قبل بروز التأثيرات السومرية، كما

والمصرية

يتفق جمهور العلماء بشكل ضمني أن الكتابة المصرية في مرحلتها التصويرية قد عبرت بشكل واقعي عن البيئة المحلية دون وجود أي دليل يوحى بمرجعيتها السومرية (أحمد أمين سليم، 1989م، ص 43).

2.4 أوجه التشابه بين المدينتين الراقية والمصرية:

إذا ما أردنا أن نشير إلى أوجه التشابه بين الحضارتين المصرية والراقية فنجد أن المؤرخ "رشيد الناصوري" قد أعطى لنا نظرة جد منطقية عن كيفية انطلاق الحضارة، حيث يأتي في قوله: "...ففي كل من مصر والعراق القديم بدأت مرحلة الاستقرار تظهر على حافة الهضاب المؤدية إلى أدية الأنهار، وتمكن الإنسان خلال هذه المرحلة من صنع الأدوات اللازمة له في حياته الجديدة الزراعية والصناعية، وكان اتصاله الخارجي في ذلك اتصالا محدودا مما أدى إلى اعتماده على تجاربه الجديدة في بيئته التي استقر فيها، بالإضافة إلى بعض التجارب المتوارثة قبل استقراره في هذا المكان، وقد أعطى ذلك إلى حضارته خلال تلك المرحلة الطابع المحلي الصرف مما أدى إلى تميز كل منطقة من المناطق بطابعها الحضاري الخاص بها، ثم بدأت بعد ذلك هذه الحضارات في الاتصال ببعضها البعض الآخر والنمو تدريجيا إلى أن تمكنت من اتخاذ طابع أوسع نطاقا من طابع المنطقة المحلية الصرفة، فقد نمت القرى والمدن الصغيرة بدرجة أوسع نطاقا من قبل ثم تطورت بعد ذلك إلى مناطق حضارية بالتالي إلى أسلوب حضاري واحد منتشر في أثر من منطقة ثم إلى الوحدة الحضارية في بداية العصر التاريخي (رشيد الناصوري، 1958م، ص 37).

وضمن نفس السياق والمضمون يرى المؤرخ "تويني" التشابه الواضح في منطلق الحضارتين، وهذا ما بينه في خلاصة قول: "...وقد تم للمصريين بدورهم على نحو ما تم للسومريين، أن يكون لهم فائض في الإنتاج يفوق حاجتهم الأولية،

بامون عمر، قلمام لويضة

ومثلما حدث في سومر فقد رافق هذا الإنجاز في مصر تباين طبقي وعمارة ضخمة واستقرار مدني وحروب وتغير جذري في المعتقدات ، على أن المصريين كانوا على نقيض السومريين فيما يخص مسألة الانطلاق بدون دعم، فالبرغم من كونهم أقاموا مدنيهم على الأسس التي وضعها أسلافهم خلال العصرين الحجري والنحاسي، فقد جاءهم إحياء من مجتمع أقدم منهم تواجدا، وفي هذا الصدد هناك إجماع بين علماء المصريات بأنه يمكن ملاحظة الأثر السومري في الحضارة المصرية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر استعمال الأختام الأسطوانية والآجر في طرق التشييد المفرغ وتقليد صناعة السفن ذات الطراز السومري، وفي عدد من المعايير الفنية" (أرنولد توينبي، 1988م، ص 82). "ما يمكن لنا أن ندلي به في هذا الموضوع كتعقيب أن الحضارة أخذ وعطاء، فالتأثيرات المتبادلة أمر واقعي الحدوث ضمن بوتقة جغرافية متقاربة، لكن اختلاف اللغة بين الحضارتين يدعم دون أدنى شك فكرة انفصال الحضارتين بعضهما البعض من حيث المنشأ والمنطلق".

وضمن نفس الإطار يبين لنا المؤرخ "أحمد فخري" في رده ضمنا على المستشرقين حول مسألة الأسبقية الحضارية التشابه الموجود بين المدينتين المصرية والرافدية من حيث البيئة والنشأة، ويأتي ملخص قوله ليؤكد لنا صحة فكرته، فيقول: "اختلف علماء التاريخ القديم اختلافا كبيرا فيما بينهم عند الإجابة عن سؤال حول أي الحضارتين أقدم؟، فمنهم من تعصب ومازال متعصبا لمصر، ومنهم من تعصب ولا يزال للعراق، ولكن تعصب هذا العالم وريب ذاك لا يغير من الواقع شيئا، فقد نشأت خلال الألف الرابع ق.م في كل من مصر والعراق ثقافات قائمة بذاتها وأخذ كل منها يتقدم على انفراد، وتطورت الحياة الاجتماعية في كل من البلدين تطورها الطبيعي" (أحمد فخري، 1963م، ص 25).

بناء على ما سبق حول مسألة أو قضية "الأسبقية الحضارية" بين المدينيتين الراقفة والمصرية، فما استخلصناه في ثنايا المؤلفات الكثيرة التي استهدفت استخلاص المعايير الحضارية وتصنيفها حسب أولويات ومنظورات المستشرقين، فقد خرجنا بمجموعة من النقاط المهمة، ونذكر منها:

-لا تمثل المعطيات الغزيرة التي أوردها المستشرقون عن الصراع الحضاري بين مصر وبلاد الرافدين الأمر الواقع، فقد بينت البحوث الأثرية والدراسات الحديثة وجود سمة التعايش بين الحضارتين وتعاصرهما في الكثير من الأحداث السياسية التي مثلت نقطة البداية والنشأة لكلتا الحضارتين.

-اختلاف وجهات النظر بين المستشرقين راجع في المقام الأول إلى اختلاف تخصصاتهم والمدارس الفكرية التي ينتمون إليها، مع اختلاف الأماكن التي أخذوها كعينات للدراسة وكذا تباين المعايير، المقاييس والوسائل التي استخدموها لبلوغ نتائج واضحة حسب منظورهم.

-مسألة الأسبقية الحضارية بين مصر وبلاد الرافدين مسألة تمثل "ذر الرماد في الأعين" كونها تحجب الحقيقة الفعلية وهي تتعلق بما استوحت كل حضارة من الأخرى وفيما تتمثل مظاهر وسمات التعايش بينهما، وما هو الوزن الحضاري لكلا المدينيتين، فهذه المسألة الهدف منها تأجيج الصراعات الإقليمية وخلق قضية وهمية تصد العالم العربي عن فهمه لقيمة الحضارية بشكل عصامي بعيدا عن المنظور الغربي الأيديولوجي.

6. قائمة المراجع:

-المؤلفات:

1. أحمد أمين سليم، 1989م، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر- العراق- إيران)، دار النهضة العربية، مصر.
2. أحمد فخري، 1963م، دراسات في تاريخ الشرق القديم (مصر والعراق - سوريا- اليمن- إيران مختارات من الوثائق التاريخية)، ط 02، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
3. أرنولد توينبي، 1988م، تاريخ البشرية، ج1، تر: نقولا زيادة، دار الأهلية، بيروت، لبنان.
4. بهنام أبو صوف، 2009م، التاريخ من باطن الأرض (آثار وحضارات وأعمال ميدانية)، مطابع شركة الأديب، الأردن.
5. جيمس هنري برستيد، 2011م، انتصار الحضارة تاريخ الشرق القديم، تر: أحمد فخري، تق: ممدوح محمد الدماطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
6. خزل الماجدي، 1998م، متون سومر (التاريخ الميثولوجيا اللاهوت الطقوس)، ط 01، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن.
7. رشيد الناصوري، 1958م، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري والهضبة الإيرانية ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الأولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية، جامعة الإسكندرية، مصر.
8. سهيل قاشا، 2001م، الحكمة السومرية في العراق القديم، ط 01، دار بيسان، بيروت، لبنان.
9. غاستون ماسبيرو، 2014م، تاريخ المشرق، تر: أحمد زكي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.

المستشرقون وموقفهم تجاه قضية الأسبقية الحضارية بين الحضارة الرافدية

والمصرية

10. هارون يحيى، 2010م، ط 01، الأمم البائدة، تر: ميسون نهلاوي أورخان محمد علي، دارالقبس، سوريا.
11. هشام الجبالي، 2010م، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، دار الهدى للنشر والتوزيع، مصر.
12. غوستاف لوبون، 2019م، حضارة بابل وآشور، دارالرافدين، العراق.
13. جيمس هنري برستيد، 2000م، فجر الضمير، تر: سليم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
14. Sabatino Moscati, **L'Orient avant les Grecs (Les Civilisations de la Méditerranée antique)**, presse Universitaire de France, Paris, 1963.
15. François Lenormant, **Histoire ancienne de L'Orient jusqu'aux guerres médiques**, 9 eme édit, Tome : 05, Librairie A. lévy, Paris, 1887.